منهجية الإصلاح في دعوات الرسل

دراسة موضوعية

إعداد

د. أحمد عبدالله علي الدروبي

أستاذ التفسير المشارك بمعهد تعليم اللغة العربية

جامعة أم القرى

منهجية الإصلاح في دعوات الرسل

دراسة موضوعية

د. أحمد عبدالله علي الدروبي

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن قضية من القضايا التي تهم المجتمعات في كل زمان ومكان؛ وهي قضية الإصلاح، ويتناول أنجح وأصوب النماذج التي مرت على البشرية وهم الأنبياء وذلك من خلال حديث القرآن عن منهجهم في قضايا الإصلاح المختلفة سواء أكانت عقائدية أم اجتماعية أم أخلاقية سلوكية أم كانت في غير ذلك من المجالات، ومن خلال بيان صفاتهم التي كان لها تأثير كبير في نجاح دعواتهم لا سيما دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو المثل الأعلى لكل مصلح، واستلهام تلك النماذج المشرقة والسير على نهجهم الذي يكفل حل مشاكل البشرية جمعاء، مع التأكيد على ربانية المنهج واختلافه عن كل منهج إصلاحي مدعى.

Abstract

This study investigates reformation in society. Reformation is a crucial topic for all societies; therefore, the study discusses the need of reformation in individuals as well.

The study explores Quranic verses that mention prophets' reformation approach in their societies, relating to their peoples' beliefs, social problems, morals, etc.

It especially focuses on Prophet Mohammad (peace be upon him) and his model methods of Da'wah as a way to reformation.

The study also compares this divine inspirational approach to other reformation approaches.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدًا عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو حجة الله على العباد، أنزله سبحانه آية باقية لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه هداية للناس ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ شاملًا ما يقودهم للسعادة في الدنيا والآخرة إن هم تمسكوا به وعملوا بما فيه.

ولما كانت المجتمعات يعتريها من الخلل ما يعتريها بسبب نوازع الأثرة وحب الذات وما تستلزمها من ظلم للنفس وللغير جاءت دعوات الرسل لإصلاح هذه المجتمعات والخروج بها من عبادة الشهوات لعبادة رب الأرض والسموات، وكانت هذه الدعوات مثالًا ناصعًا للنجاح الذي غير وجه البشرية وحكمها بخير الشرائع الحافظة للضرورات الخمس، و كان لزامًا علينا ونحن نقرأ كتاب الله أن نستلهم نهجهم ونسلك سبيلهم فيما نحن بصدده من دعوة الناس إلى دين الله فلن نجد طريقًا خيرًا من طريقهم و لا سبيلًا أهدى من سبيلهم.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموضوعية في القرآن الكريم وهدي سيد المرسلين لهذا الموضوع المهم التي نحاول فيها بجهد المقل أن نكشف عن منهجية الرسل في الإصلاح ومحاولة الاستفادة منه في قضايانا المعاصرة وقد سميتها **(منهجية الإصلاح في دعوات الرسل ـ دراسة موضوعية)**.

أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار الموضوع أسباب عدة منها:

١- أهمية الإصلاح في حياة الأمة.

٢- كثرة المناهج التي تدعي الإصلاح غربية كانت أو شرقية أو حتى من داخل الأمة الإسلامية.

٣- أهمية تأصيل الموضوع من خلال المصدرين المعصومين.

٤- التأكيد على أن كتاب الله فيه من النور والهدى مايسعد البشرية ويقدم لها أفضل الحلول لكل المشاكل.

٥- إضاءت الدرب للمصلحين ببيان منهج سادة البشر من الأنبياء والمرسلين صوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ليحصل بهم الاقتداء المطلوب بقول المولى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

تساؤلات الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:

١- هل للإصلاح منهجية محددة يمكن السير عليها؟

٢- ماهي ملامح هذه المنهجية؟

٣- كيف عرض القرآن قضية الإصلاح؟

خطة البحث:

وقد قسمته إلى مقدمة التي هي هذه، وخمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف الإصلاح وروده في القرآن.

المبحث الثاني: المصلحون في القرآن.

المبحث الثالث: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.

المبحث الرابع: قضايا الإصلاح في القرآن.

المبحث الخامس: منهجية الإصلاح.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

هذا وأسأل الله العظيم أن يسدد أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يلهمنا الصواب ويجنبنا الخطأ والزلل إنه جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف الإصلاح و وروده في القرآن

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: التعريف اللغوي للإصلاح.**
- **المطلب الثاني: لفظ الإصلاح في القرآن.**

المطلب الأول: التعريف اللغوي للإصلاح:

قال الراغب: صلح: الصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في مواضع كثيرة.

والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا، قال ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا؛ وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح، قال ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[1].

قال ابن فارس: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد[2].

قال ابن منظور: الصلاح: ضد الفساد صلح يصلح، و يصلح صلاحا وصلوحا، وأنشد أبو زيد:

فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوح

وهو صالح و صليح، الأخيرة عن ابن الأعرابي، والجمع صلحاء و صلوح و صلح: كصلح، قال ابن دريد: وليس صلح بثبت. ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء و مصلح في أعماله وأموره، وقد أصلحه: ضد أفسده.(٣)

فواضح من المعنى اللغوي أنه يدور حول أصل واحد يدل على خلاف الفساد، ويلاحظ أن هناك فرقًا بين الصالح والمصلح فالصالح في نفسه والمصلح إصلاحه يتعدى لغيره، فليس كل صالح مصلحاً، فقد يكون صالحًا لكنه لا يمارس أي نوع من أنواع الإصلاح في مجتمعه فمثل هذا لا يسمى مصلحًا إلا باعتبار إصلاحه نفسه وهو إصلاح قاصر؛ لكن المصلح هو من كان ينشد الإصلاح في أعماله وأموره كلها كما قال أهل اللغة.

قال ابن سيده: المُصْلحُ: المقيم على الإيمان المؤدي فرائضه اعتقادًا وعملًا.(٤)

فهذا يدخل فيه تغيير المنكر لأنه من الإيمان.

فالإصلاح يكون عن فساد ويكون ثمة مصلِح ومصلَح وقضية تحتاج إلى إصلاح.

فيمكن تعريفه بأنه: تغيير مافسد ونقله إلى حال السلامة.

ويمكن هنا أن نضيف أن الإصلاح قسمان:

الأول: إصلاح شرعي شامل: وهو ما أمر به الله وما قام به المرسلون، وهو إصلاح لجوانب الحياة كلها شامل لأمر الدين والدنيا.

الثاني: إصلاح نسبي: وهو ما كان في قضية خاصة من أمور الدنيا، فهذا يمكن صدوره عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، عاصيهم وطائعهم.

و هذا يجيب عن تساؤل يمكن أن يطرح عن وجود بعض من ينطبق عليه اسم الإصلاح وهو غير متحل بالإيمان؟

فهذا إصلاح جزئي في قضية أو قضايا معينة، وهو غير الإصلاح الكامل المبني على شرائع الله المصلحة لحال الناس؛ وفرق بينهما، فإن الإصلاح الجزئي أو النسبي يمكن أن يصدر حتى عن الكافر لكنه قاصر عن بلوغ الإصلاح الكامل.

ومقصد البحث هو القسم الأول منهما.

المطلب الثاني: لفظ الإصلاح في القرآن.

جاء لفظ الإصلاح في القرآن في مواضع عديدة واشتمل على صيغ عدة: فجاء بصيغة الفعل و اسم الفاعل والمصدر.

فمما جاء بصيغة الفعل:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقوله ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن

تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وقوله ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وقوله ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنفال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

وقوله تعالى في سورة يونس ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

وقوله تعالى في سورة النحل ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة النور ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة النمل ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

وقوله تعالى في سورة الشورى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة محمد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ أَعْمَٰلَهُمْ

وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

وقوله تعالى في سورة الحجرات ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ خَيْرًا﴾

فهذه جملة المواضع التي أتى فيها لفظ الإصلاح بصيغة الفعل، ويلاحظ فيها أن الفعل إما أن يكون صادرًا من الله أو من الناس.

فما كان الفعل فيه من الله سبحانه وتعالى جاء على وجوه منها:

الوجه الأول:

- مجازاة المؤمنين بإصلاح البال نتيجة إيمانهم بالله وما نزل على نبيه صلى الله عليه وسلم و الجهاد في سبيله، كما في الآيات في سورة محمد.

وأصلح بالهم: أي أمرهم وحالهم.

قال ابن جرير: وأصلح بالهم يقول وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.(٥)

قال الزمخشري: أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.(٦)

وذهب بعض المفسرين إلى أن البال هنا: القلب.

قال ابن عطية: وتحرير التفسير في اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب فإذا صلح ذلك صلحت حاله فكأن اللفظة مشيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع.(٧)

قال ابن عاشور: وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا.(٨)

الوجه الثاني:

- **التهديد والوعيد بعدم إصلاح عمل المفسدين.** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

قال الخازن: يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه.(٩)

والآية وإن جاءت في السحرة خاصة إلا أنها عامة في غيرهم فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هو معلوم.

قال الشوكاني: أي عمل هذا الجنس فيشمل كل من يصدق عليه أنه مفسد ويدخل فيه السحر والسحرة دخولا أوليا.(١٠)

الوجه الثالث:

- **إصلاح عمل المؤمنين نتيجة للتقوى والقول السديد.** ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾

قال ابن سعدي: يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب أو المقارب له عند تعذر اليقين من قراءة وذكر وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتعلم علم وتعليمه والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد: لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح، والإشارة بما هو الأصلح. ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: يكون ذلك سببا لصلاحها، وطريقًا لقبولها؛ لأن استعمال التقوى تتقبل به الأعمال كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضًا بحفظها عما يفسدها وحفظ ثوابها ومضاعفته. كما أن الإخلال بالتقوى والقول السديد سبب لفساد الأعمال وعدم قبولها وعدم ترتب آثارها عليها.[١١]

الوجه الرابع:

- **إصلاح حال الإنسان بسبب الطاعة والمسارعة في الخيرات و التضرع لله و دعائه في كل الأحوال كما في حال زكريا وزوجه** ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

فالضمير (إِنَّهُمْ) يرجع على الأنبياء السابق ذكرهم وما امتن الله به عليهم وزكريا من جملتهم، وخص بعض المفسرين الضمير بزكريا وأهله.[١٢]

أما ماكان الفعل فيه صادرًا من العبد فقد جاءت الآيات مشتملة على ما يلي:

١ - الأمر بالإصلاح بعد بالتوبة وهو أكثر ما تكرر، وفيه أن التائب من الذنب منتقل من حال الفساد إلى حال الصلاح وقد يكون في حال فساده أساء إلى نفسه أوغيره فنبه على أنه يلزمه مع التوبة إصلاح ما فسد من ترك الذنوب وإعادة المظالم إلى أهلها وإزالة أثر الذنب أيًا كان.

٢ - الأمر بالإصلاح بين الناس والحث عليه وبيان فضله ومكانته، وجاءت في هذا آيات باهرات تنطق بعظمة هذا الدين القائم على المحبة والتآلف وإزالة أسباب الكراهة بين الناس وحقن دمائهم وحفظ مجتمعاتهم من التمزق وحفظ أسرهم من التفكك وانظر الآيات السابقة في سور البقرة، و النساء، و الأنفال، والحجرات.

٣ - العدل والقسط أساس الصلاح و المصلح لابد أن يتصف بذلك وإلا ما عُدّ مصلحا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وتأمل في تذييل الآية ومقدار ماتحدثه في النفس من الحرص على تحري القسط والعدل في كل الأمور.

٤ - التحذير من سبيل المفسدين ومن مآل أحوالهم، وفي قصة تسعة الرهط من قوم صالح الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وما آلوا إليه هم وقومهم من الهلاك الشنيع دليل واضح على عواقب الفساد.

٥ - الإصلاح وصية النبيين كما أوصى موسى أخاه هارون ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ودعاء الصالحين ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

ومما جاء بصيغة اسم الفاعل:

قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾

وقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

وقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

وقوله تعالى في سورة هود ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

وقوله تعالى في سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

وقد اشتملت الآيات على معانٍ عظيمة، منها:

١- التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة أساس تكوين المصلح وبغيرها لايكون مصلحًا.

٢- الإصلاح سبب من أسباب النجاة من العذاب وتركه سبب العقوبة.

٣- أهل الباطل هم من كبار المفسدين ومع ذلك لا يشعرون بفسادهم وإفسادهم وذلك بسبب ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

٤- إذا اشتبه على البشر المصلح من المفسد؛ أو لبس المفسد لباس المصلح فإن الله سبحانه قد أحاط بكل شئ علمًا وهو يعلم المفسد من المصلح، وهذا تنبيه لأهل الغفلة، وتهديد لأهل الزيغ و العناد.

٥- الابتلاء يصيب المصلحين، فقد تحصل الإساءة ممن أحسن إليه، فلا يحمله ذلك على ظلم المسئ، لأن المصلح ينتظر الأجر من الله لا من الناس كما في قصة موسى مع قاتل القبطي في سورة القصص.

ومما جاء بصيغة المصدر:

قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقوله ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ وقوله ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى في الأعراف ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وقوله ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى في سورة هود ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

وقد اشتملت الآيات على معانٍ عظيمة، منها:

١- النهي عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها.

و في المقصود بقوله (بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا) أقوال:

قال ابن الجوزي: فيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان، و الثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، و الثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة، و الرابع: لا تعصوا فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب، و الخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه، والسادس: لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي.(١٣)

قال القرطبي: نهى عن كل فساد قلَّ أو كثر بعد صلاح قلَّ أو كثر، هو على العموم على الصحيح من الأقوال. (١٤)

قال ابن عاشور: والتصريح بالبعدية هنا تسجيل لفظاعة الإفساد بأنه إفساد لما هو حسن ونافع فلا معذرة لفاعله ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض.(١٥)

٢- تفيض آية سورة البقرة عن اليتامى بالرحمة بهم وتحث على إصلاح أحوالهم ومراعاة ضعفهم مما يؤكد عظمة هذا الدين ورحمته بالعالمين.

قال ابن عاشور: ووصف الإصلاح بـ(لَّهُمۡ) دون الإضافة إذ لم يقل إصلاحهم: لئلا يتوهم قصره على إصلاح ذواتهم؛ والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس

والمسكن بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها.(١٦)

٣- عناية الإسلام بالأسرة والحفاظ عليها، فإذا ما تأزمت الأمور قبل حصول الطلاق فإن الحكمين القاصدين للإصلاح يجعل الله التوفيق حليفهما، وإذا ما وقعت الفرقة والطلاق أعطى الإسلام الحق للزوج برد زوجته إن أراد الإصلاح بها لا الإضرار.

٤- **الإصلاح شعار الأنبياء والصالحين يمثله قول النبي شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام** ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾.

٥- الإصلاح بين الناس من أجل الأعمال وأفضل القربات، والإصلاح المقبول هو ما كان مقترنًا بالإخلاص.

فهذه هي المواضع التي جاء فيه لفظ الإصلاح باشتقاقاته المختلفة،وبينا فيها ما أحاط بها من الدروس العظيمة والدلالات القيمة بقدر ما يسمح به البحث؛و إلا كل آية من الآيات يسعها أضعاف ما كتب هنا.

المبحث الثاني

المصلحون في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع المصلحين في القرآن.

المطلب الثاني: صفات المصلحين في القرآن.

المطلب الأول: أنواع المصلحين في القرآن:

الإصلاح كلمة عظيمة وهدفها عظيم ولا يتصدى له إلا العظماء، وقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء العظماء وخلد ذكرهم وأمرنا باتباع طريقهم وسلوك سبيلهم.

والمصلحون في القرآن نوعان:

النوع الأول: الأنبياء والمرسلون.

النوع الثاني: الصالحون من أتباعهم.

وسنفصل الكلام عن كل نوع في المطلب الثاني مستنيرين بآيات القرآن الكريم، فنقول مستعينين بالله:

المطلب الثاني: صفات المصلحين في القرآن:

أولاً: صفات الأنبياء والمرسلين.

أرسل الله الرسل لهداية البشرية وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الظلم إلى العدل، فاختار هؤلاء المرسلين من بين العباد، وخصهم بفضله وأعطاهم من الكمالات ما يؤهلهم لتحمل هذه المسؤولية العظيمة، فمن صفاتهم وخصائصهم:

١- ما سبق ذكره آنفًا من اصطفاء الله لهم واختيارهم من بين العالمين قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ فهذا الاصطفاء له مقتضياته من التسليم لهم بما جاؤوا به لأن الله سبحانه لايختار لهذه المهمة العظيمة إلا من هو محل الثقة والجدارة، وهو أعلم بمن يصلح لها من الخلق كما قال في سورة الأنعام ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

٢- تأييدهم بالعصمة، لأن الخطأ في التبليغ عن الله لا تقوم معه دعوة ولا يصح معه دين ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾.

٣- تأييدهم بالبينات والآيات الدالة على صدقهم القاطعة لحجة الكافرين وهي نوعان كما ذكر الراغب في كتابه الذريعة لمكارم الشريعة حيث قال: لكل نبي آيتان:

إحداهما: عقلية، يعرفها أولوا البصائر من الصديقين والشهداء والصالحين ومن يجري مجراهم.

الثانية: حسية يدركها أولوا الأبصار من العامة.

فالأولى: ما لهم من الأصول الزكية، وصورهم المرضية، وعلومهم الباهرة، ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصحبة، وأنوارهم الساطعة التي لا تخفى على أولي البصائر، كما قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبره

وأما الآية الثانية فهي المعجزة التي تدركها الحواس من الأنبياء، وذلك يطلبه أحد رجلين: إما ناقص عن معرفة الفرق بين الكلام الإلهي والكلام البشري، وعن إدراك سائر ما تقدم ذكره، فيحتاج إلى ما يدركه بحسه لقصوره عن إدراك ذلك.

وإما ناقص وهو مع نقصه معاند، فيقصد بما يطلبه العناد.(١٧)

٤ – الكمالات التي خصهم الله بها اقتضت أن يكونوا محل القدوة والأسوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾.

٥ – كونهم محل الأسوة والقدوة اقتضى منهم الالتزام الكامل بما أمر الله وعدم المخالفة له ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

٦- التبرأ من الحول والقوة و تفويض الأمر لله و إعلان التوكل عليه، ولولا ذلك ما استطاعوا أن يقفوا بكل ثبات في وجوه مجتمعاتهم المائجة بالظلم والطغيان،وهذا درس عظيم للأتباع، ولأهميته أمرهم الله بإعلان ذلك قال تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ وقال عن نوح ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقال عن شعيب ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ وقال سبحانه مبينًا أنه منهج المرسلين ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ والآيات في هذا كثيرة.

٧- الرحمة بالعالمين، فالرحمن الرحيم لم يرسل للبشرية إلا من يرحم عباده ويحسن إليهم ويسوقهم لرحمته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨- الصبر وتحمل الأذى ذلك أن طريق الإصلاح محفوف بالمخاطر مزروع بالشوك، لأن المصلح يأتي بخلاف شهوات الناس ورغباتهم، فلابد أن يواجه في البداية ويقف أمامه أصحاب النفوذ والقوة وذلك يحتاج لصبر عظيم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ و يأتي القرآن بأعظم توجيه للمؤمنين بالصبر وبيان أن النصر مع الصبر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟

مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

فهذه أبرز صفات المرسلين التي تؤهلهم للإصلاح وتجعلهم أئمة المصلحين المبلغين عن ربهم، وليس مقصود البحث ذكر خصائصهم كاملة؛ فخصائصهم تجل عن الوصف وتتأبى على الحصر ولكن نكتفي بما ذكر مما يخدم مقصد البحث، ونحيل القارئ على كتاب الله فإن فيه كفاية و شفاء.

ثانيًا: صفات الصالحين المصلحين.

يسلك المصلحون من أتباع الرسل طريقهم، ويتحلون بصفاتهم، وكلما كان المصلح متمسكًا بنهجهم كانت دعوته أصوب وأنجع، لذا فإن ما ذكر من صفات الأنبياء ـ ماعدا العصمة ـ تنطبق عليهم في الجملة وتختلف باختلاف مراتبهم ومنازلهم عند الله، فكلما كان التمسك أكبر كانت المنزلة أعظم والأثر أكبر.

والمصلحون من أتباع الرسل ذكروا في القرآن بطريقين:

الأول: طريق عام، يمثله لفظ (المؤمنون) وما شاكله في المعنى.

الثاني: طريق خاص، بذكر أسماء المصلحين صراحة كلقمان[١٨]، أو ذكر صفتهم كمؤمن آل فرعون.

ومن صفاتهم التي ذكرت في القرآن: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهو الإصلاح ذاته.

وقد جاء وصف المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات عدة فمنها: قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فهذه الآية اشتملت على عدة صفات لهم منها الولاية للمؤمنين والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة المطلقة، وهذه الصفات من أعظم صفات المصلحين، ومما يلاحظ هنا تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للدلالة على أهميته وفضله، و أنه مع ولاية المؤمنين بعضهم لبعض يحصل به الإصلاح المنشود الذي يعم نفعه، والتعبير بولاية المؤمنين بعضهم لبعض مهم في بيان أن الاجتماع ضروري للإصلاح، والتفرق والتشرذم سبب في ضياع الجهود والفشل والضعف والهزيمة كما قال تعالى في الأنفال ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

ومن الآيات في وصف المؤمنين بهذه الصفة ماجاء في التوبة أيضًا ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بل إن الله تعالى أعلن خيرية هذه الأمة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ليبين أنها أمة صلاح و إصلاح حيث قال ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ فالحاصل أنَّ صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة للأمة وأفرادها ماداموا متمسكين بها فإن فرطوا فيها زال عنهم وصف الخيرية

فهي خيرية مشروطة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند هذه الآية: ياأيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها.(١٩)

وبين سبحانه أن من صفات المصلحين عند تمكنهم في الأرض إقامة شعائر الله وتمكين الناس من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قال تعالى في سورة الحج ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ فلا يصلح أمر الناس إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و هو الإصلاح الشامل الذي نحن بصدد الحديث عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.(٢٠)

و لذلك أمرهم سبحانه به في سورة آل عمران حيث قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبينًا ارتباط تغيير المنكر بالإيمان: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.(٢١)

وهذا الحديث مع الآيات السابقة يعطي الأمة حركة دائمة دؤوب لتغيير الفساد أيًا كان مصدره، مع حفظ المقامات في ذلك بين مصلح قوي يقوى على تغيير المنكر بيده وآخر ضعيف ينكر بقلبه وآخر بينهما لا يستطيع سوى بلسانه، و في كل خير، ولا أحد يعذر بعد المرتبة الثالثة، و لهذا تفاصيل وفروع محلها كتب الفقه.

وكما أنَّ دعوات الأنبياء تبدأ بالتوحيد فكذلك دعوات أتباعهم، انظر إلى قول العبد الصالح لقمان لابنه في أولى وصاياه ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ

بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، وقول مؤمن آل فرعون ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾، وقول صاحب القرية التي كذبت المرسلين ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أمثلة رائعة للمصلحين يتبين فيها صفاتهم من الصبر والحكمة والرحمة بالخلق والقدرة على الإقناع والدعوة بالتي هي أحسن والصدع بالحق والتضحية بالنفس في سبيله والثبات على الحق تصلح نبراسًا وهديًا يتبعه المصلحون في كل زمان ومكان.

ومما يلاحظ أيضًا اقتران الإصلاح المعبر عنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصلاة في آيات عدة منها آيتا التوبة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ والآخرى ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وآية الحج ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ وآية لقمان ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ فقرن بين الإصلاح والصلاة وبينه وبين الزكاة في بعض الآيات فما السر في ذلك؟ الإجابة عن هذا تأتي من القرآن نفسه حيث يقول تعالى في سورة العنكبوت ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ وقوله في الزكاة في سورة التوبة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فالصلاة والزكاة تزكيان النفس وتحملانها على الكمالات وهو ما يحتاج المصلح إليه بشدة، ذلك أنَّ الطريق محفوف بالمصاعب والمتاعب ولا يخفف وطأتها خير من الصلاة التي هي عبادة تسمو بالنفس عن الرذائل وتكسبها الفضائل ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

قال البيضاوي: والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلًا على الله أو بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات؛ لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب [٢٢].

قال ابن كثير: إن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر.[٢٣]

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه شئ فزع إلى الصلاة.[٢٤]

و أما الزكاة فلأنها عبادة مالية تنزع شح النفس وأثرتها وتربى المصلح على البذل ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

المبحث الثالث

موقف الناس من الإصلاح في القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.

المطلب الثاني: أحوال المستهدفين من الإصلاح في القرآن.

المطلب الأول: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.

الناس في تقبلهم للإصلاح أنواع: فمنهم من يتقبل الدعوة قبولًا حسنًا بتوفيق الله تعالى له أو بما أعطاه الله من القدرة على التمييز بين الحق و الباطل. ومنهم من تقصر به بصيرته فيحتاج إلى الأدلة الحسية من الآيات، وهناك الكافر المعاند المحارب للحق وهناك غير المعاند، فليس كل من تلبس بنوع من الفساد معاند مكابر بل إن منهم الجاهل والغافل وذا الشبهة والمتأول، ونحن نقصد بالبحث المستهدفين بالإصلاح، وهم فريقان:

الأول: المعاند والمكابر.

الثاني: غير المعاند.

وسنذكر صفات الفريقين التماسًا من آيات الكتاب العزيز في المطلب الثاني بعون الله وتوفيقه.

المطلب الثاني: أحوال المستهدفين بالإصلاح في القرآن.

لما كانت النفس مولعة بحب الشهوات متصفة بالأثرة مفرطة في الأمر بالسوء كما أخبر المولى سبحانه عنها في القرآن وقعت المعاصي وظهر الفساد بسبب ذلك فمستقل ومستكثر.

فكان الناس المستهدفون بالإصلاح في واقع الأمر صنفين: معانداً وغير معاند، فسنذكر أحوال الصنفين كما جاءت في القرآن.

الصنف الأول: المعاندون.

وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين: رؤساء وأتباع.

فأما الرؤساء فهم الذين تولوا كبر الفساد ودافعوا عنه وقاوموا دعوات الرسل، وقد عبر عنهم القرآن بالملأ، ووصفهم بأوصاف أظهرها وصفان: الكفر والاستكبار، قال تعالى في سورة الأعراف عن قوم هود ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ وقال في نفس السورة عن قوم شعيب ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾، و لا يستنكف هؤلاء عن إلصاق كافة أوصاف السوء بالمصلحين من الرسل كوصفهم بالسحر أو الجنون قال تعالى في سورة الذاريات ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أوإتهامهم بالرغبة في إفساد الحياة وإخراج الناس من أرضهم قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ وفي الأعراف أيضًا ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾، و لا يكفون عن التحريض عليهم بالقتل أو الإخراج كما فال سبحانه في سورة الأعراف ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾، ولا يكفون عن

السخرية منهم والانتقاص من شأنهم قال تعالى في سورة هود ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ وقال في سورة الزخرف ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ وهم مع ذلك يتواصون فيما بينهم بالصبر على الباطل الذي هم فيه لا لأنه الحق بل للعناد والاستكبار والعلو في الأرض والظلم قال تعالى في سورة الأنعام ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وقال في سورة النمل ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وقال سورة في ص ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، ولا يتردد هؤلاء وبكل صفاقة بوصف أنفسهم بالإصلاح إما استهزاءً أو بسبب ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، ويصفون المصلحين بالضلال المبين والسفاهة قال سبحانه في سورة الأعراف عن قوم نوح ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقال فيها عن قوم هود ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ومن صفاتهم التعنت وعدم قبول الحق لأن الحق ثقيل على نفوسهم

بسبب ما فيها من الكبر وبطر الحق كما قال في سورة يونس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

فهذه بعض صفاتهم وأفعالهم التي جاءت في القرآن وفي سور البقرة والأعراف والتوبة وهود والشعراء جملة كبيرة من صفاتهم وأفعالهم التي تبين مدى بعدهم عن قبول الحق وتعنتهم مع أنبيائهم الذي أوردهم المهالك واستحقوا بسببه الهلاك الشامل والخسران في الدنيا والأخرة.

ولذلك فإن هذا الصنف من المعاندين لا يؤمنوا ولا يلتزموا بشرائع الأنبياء إلا من رحم الله وهم قلة، ولذلك لجأ الأنبياء في نهاية الأمر و بعد إقامة الحجة عليهم إلى طلب نزول العذاب عليهم أو إلى مجاهدتهم وقتالهم، وكانت العاقبة للمتقين والنصر حليف المصلحين المؤمنين، قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ فليس على المصلحين سوى الثبات وإن وقع لهم الابتلاء فتلك سنة الله الماضية والنصر حليفهم والله معهم.

ويلحق بهؤلاء الرؤساء أتباعهم من العامة المطيعين لهم فيما يأمرونهم به من معاداة المصلحين وقتالهم والوقوف في وجه الدعوة بكل شكل، و قد سماهم القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ و ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾.

وقد بين القرآن حال هؤلاء في الآخرة ومدى حسرتهم لاتِّباعهم الملأ المستكبرين عند تبرؤهم منهم ورؤيتهم العذاب وتقلبهم فيه، بينه أجمل بيان وأوضحه غاية الوضوح مصورًا حالهم الرهيب الذي تقشعر له الأبدان وتنخلع له الأفئدة؛ فالعذاب دائم والنار مستعرة والخصم هنا رب العالمين، فيالله من يملك قلبًا لا ينخلع من تلك المواقف المرعبة والأحوال المفزعة قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وقال في سورة سبأ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وقال في سورة الأحزاب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾

وهذا البيان من الله لهؤلاء ليحذروا من سلوك سبيل المفسدين المفضي إلى هذه العاقبة المريرة والحال المخزية، فإنَّ كل من كان له قلب سيخاف ويقلع ويتعظ ويعتبر، ومن لا يتعظ بالقرآن فلا واعظ له والله المستعان.

الصنف الثاني: غير المعاندين.

وهؤلاء لم تنطو قلوبهم على الخبث والكفر والعناد بل هم إما في غفلة سادرة أو في شهوة غامرة أو جهالة مستحكمة، فما إن يبين لهم السبيل ويتضح لهم الطريق حتى يسلكوه تائبين نادمين خاضعين غير معاندين، وهم من هذه الأمة ومن غيرها.

فهذا حال أتباع الرسل الذين كانوا في جاهلية جهلاء و ضلالة عمياء، فلما أشرقت عليهم شمس الإسلام أضاءت قلوبهم وأشرقت نفوسهم وصارت دواخلهم عامرة بعد أن كانت خرابًا، وصاروا أئمة الإصلاح بعد أن كانوا في لوثة الفساد، فطهروا العالم من حولهم، وبذلوا في سبيل ذلك أموالهم ومهجهم، فما أعظم هذا الدين وما أحسن شرائع المرسلين.

قال تعالى في سورة المائدة عن بعض النصارى من أهل الكتاب ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقال سبحانه في سورة الصافات عن مجلس من مجالس أهل الجنة يتجاذبون فيه أطراف الحديث مستمتعين بالنعيم الذي يتقلبون فيه ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾

فشتان بين الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

المبحث الرابع
قضايا الإصلاح في القرآن

تمهيد:

جاءت دعوات الرسل عند انتشار الفساد والظلم وكان هدفها الإصلاح الشامل لأحوال الناس في كل جوانب حياتهم، وكان مرتكز دعوات الرسل الحفاظ على الضرورات الخمس الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

ويمكن تقسيم مجالات الإصلاح إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: العقائد و العبادات.
القسم الثاني: المعاملات.
القسم الثالث: الأخلاق والسلوك.

وسنبين في هذا المبحث هذه الأقسام الثلاثة بقدر الطاقة والحاجة، فإن كل قسم منها لا تستوعبه المجلدات الكبيرة فضلًا عن هذا المبحث الصغير، فنقول مستعينين بالله:

القسم الأول: العقائد والعبادات.

أساس الإصلاح هو الإصلاح العقدي ونعني به إصلاح العقائد الفاسدة وعلى رأسها الشرك بالله، ولذلك فإنَّ أساس دعوة الرسل هو الدعوة للتوحيد كما قال تعالى في سورة النحل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ وقال في سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وذلك تحقيقًا للغاية التي من أجلها خلق

الخلق وهي عبادته سبحانه من غير إشراك؛ قال سبحانه في سورة الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ و الآيات في هذا كثيرة جدًا.

وكذلك من الإصلاح العقدي التأكيد على الإيمان بالله الإيمان الكامل الذي ينجو به الإنسان من عذاب الله وهو الإيمان بأركانه الستة قال سبحانه في سورة البقرة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وقال فيها أيضًا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم في تعريف الإيمان في رده على سؤال جبريل في الحديث المشهور: قال يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله.[٢٥]

وإذا حصل الإيمان في القلب سهلت التشريعات و التكاليف، ولذلك كان التركيز عليه في سنوات الإسلام الأولى فلم تشرع الفرائض إلا بعد الهجرة ماعدا الصلاة فقد شرعت قبلها بسنة ونصف[٢٦]، وفي هذا درس للمصلحين بعدم الإثقال على المدعوين لاسيما من كان حديث عهد بالإسلام حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، وهذا لا يعني عدم تعليمهم ما افترض الله عليهم بل المقصود الترفق بهم والصبر على تقصيرهم وتقوية الإيمان في نفوسهم.

أما العبادات فقد جاءت لتزكية النفوس وربطها ببارئها وهي نوعان: فرائض ونوافل، أما الفرائض فهي الحد الأدنى الذي لا يكون الإنسان بدونه مسلمًا؛ وأما النوافل فهي للترقي في درجات الكمال الموصل إلى درجة الإحسان كما قال الله في الحديث القدسي: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.(٢٧)

ولا شك أن هذا الإصلاح الرباني للإنسان بالالتزام بالعبادات له أثره على نفس المؤمن فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم تربية للنفس بحبسها عن الشهوات والزكاة تربي على البذل والعطاء والحج جهاد عظيم لاقتال فيه،فالمؤمن يتقلب في الفضائل وهذا ينعكس إيجابًا على سلوكه وحركته في الحياة.

ثانيًا: المعاملات.

ويقصد بها الشرائع المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره كالبيع والشراء و النكاح وحفظ الحقوق والدماء والعقول.

وقد كانت البشرية تموج بألوان الفساد في شتى نواحي الحياة فالتطفيف في الموازين و الربا وأنواع البيوع المحرمة والفواحش من الزنا وإتيان الرجال دون النساء والقتل والسرقة وقطع الطريق وظلم الناس وظلم النساء وحرمانهن من الميراث والوأد والتعدي على الحقوق كل ذلك وغيره كان مما يعكر صفو الحياة ويحرمها لذة الأمن ويجعلها تعيش حياة هي أقرب للبهيمية منها للإنسانية.

فاقتضت رحمة الله بعباده إزالة هذه المنكرات عنهم وتطهير مجتمعاتهم من درن الفساد وتحقيق العدل ورفع الجور، فجاءت الشرائع الإلهية المنظمة لذلك من حفظ الحقوق وصون الدماء والأعراض ورفع الظلم.

وقد كانت الشرائع في غاية النجاح في تحقيق الإصلاح وإزالة الفساد للأسباب التالية:

١- لأن مصدرها هو الله خالق البشر العالم بما يصلحهم ويصلح لهم فهي ربانية المصدر.

٢- لأن المبلغ هم رسل الله خيرة البشر، والحامل لها من بعدهم عباد الله المخلصين الأخيار، ولك أن تتصور لوكان الحامل لها من الفجار والفساق هل يمكن أن تنجح!

٣- كونها ربطت بالإيمان و بالثواب و العقاب الدنيوي والأخروي، فالمؤمن عندما يمتثل أمر الله في البيع والشراء مثلًا فإنه يستشعر مراقبة الله له ويخاف من عقابه ويخاف من الكسب المحرم ويعلم التأثير السيئ لهذا الكسب الفاسد على نفسه وأهله وماله فهناك رودع كثيرة تردعه عن ذلك الكسب، وكذلك السارق الذي رق إيمانه وطمحت نفسه للحرام عندما يعلم عاقبة أمره بقطع يده يردعه ذلك أشد الردع، وهكذا في سائر الأحكام يدور الأمر بين استشعار مخافة الله أو مخافة الردع الدنيوي.

وهذا يبين لنا مدى فاعلية المنهج الرباني في الإصلاح وتنقية المجتمع من شوائب الفساد ، إذ أن التشريعات البشرية تأخذ في الاعتبار الجانب المادي الدنيوي المحض فتشرع بالردع الدنيوي من غير التفات إلى الجانب الإيماني مما يجعل الفرد يفكر بالمخالفة عند الأمن من العقاب الدنيوي.

صحيح إن العقل و الضمير قد يردعان، ولكنه ردع محدود في مقابل سطوة الشهوة وتمكن الأثرة من النفس بخلاف الردع الإيماني الملازم لصاحبه في كل الأحوال.

٤- كونها مبنية على العدل و القسط، فلا يمكن أن تجد في الشريعة أمرًا يخالف العدل أو يدعو إلى الظلم أو يشرع الفساد قال تعالى في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ فالشريعة بأحكامها ومقاصدها قائمة على العدل والقسط اللذين قامت عليه السماوات والأرض.

قال ابن القيم: فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل.[٢٨]

ثالثًا: الأخلاق والسلوك.

يتصف التشريع الرباني بالشمول للحياة كلها، وإصلاح الجسد وإصلاح الروح، فكما عني الإسلام بجانب العقيدة وجانب التشريع كان للأخلاق حظ وافر من العناية بها في دعوات المصلحين.

فالإصلاح لا يتحقق إلا باكتمال جوانبه العقدية والتشريعة والأخلاقية، وبينهما ترابط وثيق وتداخل أكيد، فقيم الصدق والعدل والإيثار والحب وحسن الخلق وترك الفحش ومساعدة الضعيف و الرحمة والتبسم للأخرين و التعاون على الخير وإغاثة الملهوف وذي الحاجة والنظافة والحفاظ على البيئة والنزاهة والكرم

وغيرها مما اتفق العقلاء على حسنه وجاءت الشرائع به و التأكيد عليه بترتيب الثواب عليه تارة و بالوعيد على تاركه أخرى؛ كل ذلك هو من أساليب الإصلاح الربانية التي تقضي على الفساد وتهيء للأمة سبيل السعادة والصلاح.

إن آيات القرآن تفيض بالتربية الأخلاقية والوصايا السلوكية والحث على معالي الأخلاق بأسلوب بديع و بيان معجز وروعة تأخذ بالألباب وتأسر العقول وتؤثر في النفوس أيما تأثير، وليس وصفي هذا من باب الاندفاع العاطفي في المدح بل هو واضح لكل من قرأ القرآن وتدبره أو ألقى السمع وهوشهيد.

وإذا أخذنا خلق العفو كمثال وجدنا ما وصفنا آنفًا وما عجزت عن وصفه ألسنتنا، يقول تعالى في سورة آل عمران ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقال في سورة النساء ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ وقال في سورة الأعراف ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وقال في سورة النور ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وقال في سورة الشورى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال في سورة التغابن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

فانظر كيف بين في الآية الأولى فضل العافين عن الناس وثوابهم العظيم.

وفي آية النساء كيف قدم العفو بطريقة عجيبة حيث بين أن العفو من صفات كماله سبحانه مع كمال قدرته فهو يعفو مع القدرة التامة، ومن يعف فإنما هو مقتد بالصفة الإلهية وكفى به فضلًا ومنزلة.

وفي آية الأعراف جاء الأمر بالعفو بطريقة لم تعهد فالأخذ لا يكون إلا لشئ محسوس فاستخدم الاستعارة في أبهى حلة وأجمل تعبير فأمره بأخذ العفو من أخلاق الناس بحيث لا يشق عليهم ولا يرهقهم كما ذكر أهل التفسير.

وفي آية النور أمر بالعفو حتى لمن أساء إلى الآخرين، ولأن فيه صعوبة حث عليه بالوعد بالمغفرة وختم الآية بصفتي الغفران والرحمة ليقتد المؤمن بهما.

وفي آية الشورى أمر بالعدل أولًا وهو جزاء السيئة بمثلها ثم أتبعه بالفضل وهو العفو، و بين أنَّ أجره على الله؛ وهذا فيه ما فيه من الترغيب فمن كان أجره على الله أعطاه الله حتى يرضيه لأنه تنازل عن حقه لله سبحانه وهو أكرم الأكرمين.

وفي آية التغابن يأمر سبحانه بالعفو عن الأهل و الأولاد بطريقة عجيبة لطالما استوقفتني عند قراءتها وهي تكرار لفظ العفو ومرادفاته (العفو، الصفح، الغفران) والظاهر أنَّ ذلك لكثرة مخالطة الأهل والأولاد ولتكرر الخطأ منهم ولتأكد العفو عنهم أكثر من غيرهم إذ في العفو عنهم حفاظ على الأسرة من التشتت، و فيه أيضًا تربية لهم على هذا الخلق الكريم.

هذا مثال فقط لكيفية معاجة الجانب الأخلاقي والسلوكي للإنسان وتأثيره في صلاح المجتمع وبث روح التسامح والمحبة فيه، لم نستوعب الحديث فيه لطوله واكتفينا منه بما يصلح شاهدا.

وقد مدح الله رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه بعظيم خلقه حيث قال في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وحين سُئلت عائشة عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن.(٢٩)

وقد حث النبي على حسن الخلق في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحاسنكم أخلاقا.(٣٠)

وقوله عليه الصلاة والسلام: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإنَّ أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون.(٣١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.(٣٢)

فهذه الأحاديث مع تلك الآيات تكون نفوسًا مهيأة للصلاح والإصلاح بعيدة عن الفساد وبقدر تمسك الإنسان بها يكون صلاحه.

المبحث الخامس
منهجية الإصلاح في القرآن

تمهيد:

من المعلوم أن كل عمل ناجح في حجم عمل المصلحين من الأنبياء والرسل والتي تغير فيه وجه الحياة الكالح إلى وجهها المشرق لا يمكن أن يكون عشوائيًا بل لابد أن يكون ضمن منهجية واضحة ناجحة مثمرة، وهذا مانحاول أن نسلط الضوء عليه في هذا المبحث فنقول مستعينين بالله:

لا يخفى على كل قارئ لكتاب الله عظمة دعوات الرسل وبالأخص منها دعوة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، ومدى تأثيرها الإيجابي في مسار البشرية، فهي مع تأثيرها الكبير في وقتها مازالت مستمرة متواجدة متجددة مؤثرة مما يدلل بشكل أكيد على نجاحها، وقد كان لهذا النجاح أسبابه المنهجية ومنها:

أولاً: وضوح الرؤيا والهدف.

فالهدف هو إصلاح البشرية بتعبيدها لله سبحانه وتعالى والخضوع لأمره، فقضية الإصلاح الشامل هي الهدف، يمثله قول النبي شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾.

ثانيًا: العلم.

لا يكفي أن يكون الهدف واضحًا حتى يجتمع معه العلم، والعلم عند الأنبياء مصدره رباني، فهو معصوم، وبالتالي لا احتمال للخطأ فيه، فكل ما كان الاصلاح مصدره رباني كان أنجح في معالجة الفساد، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو

يخاطب أباه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ وقال عن لوط غليه السلام ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال عن داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال عن يوسف عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال عن موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وحقيقة هذا العلم تشتمل على:

- القدرة التامة على تحديد المشكلة.
- الرؤية الواضحة للحل.

و نجد ذلك بوضوح في مناظرات الأنبياء التي أوردها القرآن، فهم يملكون قدرة كاملة على تحديد الخلل، و يملكون حجة قوية لدفعه ورده، ويمكن أن نضرب مثالين على هذا بمناظرة إبراهيم لقومه التي أوردها القرآن في سورة الأنعام وسورة الأنبياء وسورة الصافات، و بمناصحة مؤمن آل فرعون لقومه التي ذكرت في سورة غافر.

فالمصلح يحتاج إلى الإعداد العلمي الذي يمكنه من معرفة أحكام الله تعالى في الوقائع والأمور والتي بجهلها يكون الإصلاح ناقصًا أو خطأً، وقد يأتي بضد المقصود.

ثالثًا: الزهد فيما عند الناس وعدم طلب الأجر على الدعوة.

فالمصلح متى ما كان متطلعًا لشيء من الدنيا أو لما عند الناس أو لتحصيل مصلحة خاصة أو لطلب رياسة وجاه فإن تأثيره يقل أو ينعدم، لأن الناس لا تثق بمن

كانت هذه صفته، ولأن مقتضى الإصلاح يتعارض مع هذه التطلعات، فبدلًا من أن يسعى المصلح لمعالجة الفساد والوقوف في وجهه ينصرف إلى تحصيل تلك المنافع الدنيوية التي قد تكون مشروعة وقد تكون غير مشروعة، والناقد عينه بصيرة والناس تميز بين الصادق و الكاذب ولو حاول الكاذب التلبس بلباس الصادق.

وقد كان الزهد هو صفة أنبياء الله كما أخبر الله عنهم فكلهم يقول ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما في سورة الشعراء وغيرها من السور مما يؤكد هذه الخصلة كمنهجية متبعة عند الرسل.

رابعًا: الإرادة القوية والثبات على المبدأ.

و لا يكفي لنجاح أي دعوة أن تمتلك الرؤية الواضحة للمشكلة والعلم الكافي للحل حتى تجتمع معهما الإرادة القوية للتغيير والإصلاح، وهذه سمة مشتركة بين كل المصلحين، هذه الإرادة القوية وقفت أمام الصعاب بكل ثبات وقوة وتجاوزتها من غير لين أو تنازل عن المبدأ، انظر إلى فعل إبراهيم عليه السلام كيف ثبت في موقفه متحديًا الموت عندما ألقاه قومه في النار حيث قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ ومثله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حينما ساومه قومه على أن يعبدوا آلهته سنة ويعبد آلهتهم أخرى فأنزل الله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[٣٣] إنه غاية الثبات في وجه المغريات إذا علمنا أيضًا أنهم عرضوا عليه الملك والمال والنساء وهددوه بالقتل وحاصروه في الشعب وقاتلوه ولم يرده ذلك عن دعوته ولم يركن إليهم طرفة عين، قال تعالى في

سورة الإسراء ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ فغاية المفسدين أن يستجيب لهم أهل الإصلاح في شيء من فسادهم حتى يكون مدخلًا عليهم وحجة، فمن أقر الفساد في شيء لا يحق له أن يمنعه في شيء آخر، ولذلك عصم الله نبيه عن تلك المزالق، وكل داعية للإصلاح لابد له من الإرادة القوية والثبات على المبدأ، لأن تزعزع الإرادة إيذان بزوال الدعوة.

و هذه الإرادة القوية تنتج عن:

- اليقين المطلق بما عند الله، والثقة به،والتوكل والاعتماد عليه.
- الاقتناع التام بالقضية.

ولذلك كان الأنبياء أكثر الناس عزمًا وإرادة ثم من دونهم بحسب درجاتهم، فقد وقف هود أمام قومه متحديًا تحدي الواثق بربه كم أخبر الله عنه في سورة هود حيث قال ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾.

خامسًا: الفقه والبصيرة في التعامل مع الأمور.

يحتاج الإصلاح لكي يكون ناجحًا لكثير من الفقه والفهم والإدراك لحقائق الأمور ومآلاتها، و هذا ما تميز به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وقد أمر الله

رسوله بالإخبار بذلك حيث قال سبحانه في سورة يوسف ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وهذا الأمر الرباني إعلان منه بأن الدعوة والإصلاح لا يقومان إلا على البصيرة وهي مرتبة متقدمة في العلم لا يكتفى فيها بما تدلي به الحواس حتى يصاحبها قوة إدراك قلبية تميز بين الحق والباطل وتضع الأمر في محله.

قال الرغب في تعريفها: ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة.(٣٤)

قال الشوكاني: والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل.(٣٥)

قال ابن كثير في تفسيره للآية: يقول تعالى لرسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمرًا له أن يخبر الناس: أنَّ هذه سبيله، أي: طريقه ومسلكه وسنته؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلُّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي.(٣٦)

ومن مظاهر وسمات الفقه والبصيرة:

١- التوازن.

ونعني به وضع الأمور في نصابها بحيث لا يطغى جانب على جانب، وهذا ما سماه القرآن: الحكمة وفيها يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ وقد أخبر الله في آيات كثيرة بأنه آتى أنبياءه الحكمة وامتن عليهم بذلك لأنّ من يؤتاها فقد أوتي خيرًا كثيرًا كما قال في سورة البقرة

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

فالتوازن أمر مطلوب في الإصلاح وهو من أهم الأمور، ومثاله: التوازن بين متطلبات الروح والجسد، فإذا طغى جانب على آخر حدث الخلل، فإذا طالب المصلح الناس بالتبتل مثلًا وترك النكاح كان مخلًا بمراد الله ولو كان هدفه الانقطاع للعبادة وترك ما يشغل عنها؛ و كان مفسدًا من حيث أراد الإصلاح، وفي الحديث: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.(٣٧)

فهذه هي البصيرة وهذا هو الفقه وهذا هو التوازن، فصلى الله على خير البشر وسلم تسليمًا كثيرا.

وفي واقعنا المعاصر أمثلة كثيرة للخلل في التوازن كمن ينصرف إلى أمور السياسة وينسى العلم والتزكية، والعكس فيمن انصرف للعلم والتزكية وترك مهمة إصلاح الناس والمجتمعات وسياستهم سياسة شرعية لا غلو فيها ولا تقصير، فكان أثر هذا الخلل من الطرفين واضحًا في المجتمعات الإسلامية في ظهور جماعات الغلو التي تكفر المجتمعات وتفجر وتقتل في بلاد المسلمين؛ وفي المقابل ظهور أشكال من التمييع للدين ومماألأة الظالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه.

وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة [٣٨].

٢- ترتيب الأولويات.

وهو من البصيرة والحكمة فليس من الفقه ترك الأهم والبدء بالأقل أهمية، ولما كان التوحيد أهم المهمات وأول الأولويات كان البدء به في دعوات الرسل.

فكل دعوة إصلاح لا تقوم على التوحيد فهي خداج لن تؤتي ثمارها المرجوة، وانظر إلى كل دعوات الإصلاح في العالم التي لم تتخذ التوحيد أساسًا هل حققت الإصلاح في كل حياتها؟ هل أقامت العدل بين الناس؟ هل استمرت بذات التأثير والوهج الذي بدأت به؟ أجزم بأن الإجابة في كل الأسئلة بلا، ولولا ضيق المقام عن التفصيل لذكرت أمثلة لهذا ولكن يكفي بأن أمثل بالحضارة الغربية التي بهرت الناس بما أنجزته في مجال العلم فأقول: كم من البشر قتلت من الحربين العالميتن وحتى وقتنا الحاضر؟ وكم من ثروات الشعوب نهبت؟ وكم من الظلم والقهر فعلت؟ وماهو مصير الأسرة لديهم؟ وماهو حال الأخلاق والقيم؟ وما معدلات الجريمة؟ إن الإجابات المعروفة عن هذه الأسئلة تعطينا الحق الذي لا مرية فيه وهو: أنَّ كل دعوة إصلاح لا تقوم على هدى من الله فهي فاشلة ولن تحقق الإصلاح الكامل الذي يجعل البشرية تنعم فيه بالأمن و الأمان.

ثم بعد التوحيد تأتي الأولويات الأخرى بحسب حاجة المجتمع، فإذا كان المجتمع يعاني من خلل أخلاقي توجهت جهود الإصلاح عليه كما في قوم لوط وفعلهم المشين فبعد أن دعاهم لوط عليه السلام إلى التوحيد ثنى بالتشنيع عليهم في فعلهم الفاحشة قال تعالى عنه في سورة الشعراء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ وهكذا فعل شعيب مع قومه فبعدما دعاهم إلى التوحيد ثنى بالتنديد بالفساد التجاري الذي اشتهر عندهم وانتشر قال تعالى عنه في سورة هود ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. والأمثلة في القرآن كثيرة.

وحاصل هذا أن ترتيب الأولويات والبدء بالأهم فالأهم كان من منهج الرسل في الإصلاح وهو منهجية واضحة لمن تصدى للإصلاح، وتحديد الأولويات ـ بعد التوحيد ـ تخضع لبصيرة الداعية ومقدار فقهه، وهي في كل مجتمع بحسبه.

و قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن وقال له: قال إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس.[٣٩]

٣- التدرج وعدم الاستعجال.

جاءت الشريعة متدرجة فالصلاة أول ماشرعت كانت صلاتين ثم زيدت بعد ذلك، والزكاة أول ما شرعت نافلة غير محددة بوقت أو نصاب ثم فرضت بعد ذلك محددة، و الخمر لم تحرم دفعة واحدة بل على مراحل، ويؤخذ من هذا النهج الرباني استراتيجية نافعة جدًا في الإصلاح تبدأ بالسهل الذي تتقبله النفوس وتتدرج به إلى الأثقل في سلاسة لا تشعر بها النفس و لا ترفضها، فهي ترويض للنفوس مصحوب بالتزكية والنتيجة القبول والامتثال في حب واقتناع. فعلى شدة تعلق بعض الصحابة بالخمر لما نزل الأمر بتحريمها سارعوا بشق دنانها وإراقتها كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة ـ وكان خمرهم يومئذ الفضيخ ـ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي: ألا إنَّ الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة.(٤٠)

٤- اللين والرفق.

وهذه القضية مهمة جدًا في قبول الحق، فالنفوس تعرض عن الجافي الغليظ ولو كان محقًا وتقبل على السهل الرفيق ولو كان مبطلًا، هذه طبيعة النفوس، ولذلك كان الأنبياء من أعظم الناس خلقًا ومعلوم أن الرفق هو من معالي مكارم الأخلاق وقد قال الله سبحانه في سورة آل عمران ممتنًا على نبيه بهذا الخلق الكريم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله.(٤١)

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه و لا ينزع من شيء إلا شانه.(٤٢)

ما أعظمه من توجيه للمصلحين !

وهذا لا يعني أن يترك المصلح الشدة كليًا بل الحكمة تقتضي أن يكون الرفق في محله وهو الأصل والشدة في محلها و هي الاستثناء، وفي غضب موسى من قومه لما اتخذوا العجل مثال واضح، لأنَّ ما وقع انتهاك واضح لأساس الدعوة وهو التوحيد فكان الموقف يقتضي في حينها الشدة قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل.(٤٣)

٥- السماحة واليسر.

وهذه سمة الشريعة وسمة حاملها، فالمصلح لابد أن يتحلى بالسماحة والتيسير على الناس وهما فرعان عن اللين والرفق فالنبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أحب الأديان إلى الله فقال: الحنيفية السمحة(٤٤). فهذه سماحة الشريعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد الحجر والتضييق.(٤٥)

وملامح اليسر ومظاهره في الشريعة واضحة بادية،ومن القواعد الشريعة المعتبرة والمتفق عليها بين الأمة أنَّ المشقة تجلب التيسير، واستعمالاتها في الفقه كثيرة.

أما حامل الشريعة ومبلغها فما خُيِّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثمًا.(٤٦)

وأما المصلحون من بعده فقد جاءهم التوجيه النبوي الكريم: يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا.(٤٧)

والأحاديث في هذا المعنى متكاثرة متواترة وقد قال الله تبارك وتعالى في سورة المائدة بعد تقرير أحكام التيمم المبنية على التيسير ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

٦- عدم تغيير المفسدة بمفسدة أعظم.

وهذه من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المشهورة، ويعبر عنها أحيانًا باحتمال أدنى المفسدتين دفعًا لأعظمهما.

قال النووي: وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع أعظمهما.(٤٨)

ففي أول الدعوة كانت الأصنام تعبد في الكعبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يتعرضون لها لأن مفسدة إزالتها على الدعوة أعظم من مفسدة بقائها، فلو أزالوها فقد يتعرض المسلمون لعنت شديد يمنعهم من مواصلة الدعوة أو يؤخر نضوجها أو قد يرتد بعض من أسلم لما يلقاه من العنت، فينشغل المسلمون بأنفسهم بدلًا من إنشغالهم بأمر دعوتهم وأمر عدوهم.

وكم يحتاج المصلحون في هذا الزمن لمثل هذا الفقه و هذه البصيرة، فكم جر الحماس غير المنضبط على المسلمين الويلات، وكم تأخرت بسببه دعوة الإسلام، وكم ارتد بسبب ذلك أقوام من الناس.

ولسائل أن يقول: من بيده تحديد أعظم المفسدتين من أدناهما؟

والجواب: أهل العلم والبصيرة والرسوخ في الدين، ولربما احتيج في بعض المسائل والوقائع لحشد فضلاء أهل العلم لتدارس حالها وتحديد الموقف السليم منها؛ حتى يصدر المصلحون عن بينة واضحة وعذر أكيد.

٧- الحسم.

ونعني به الانتهاء إلى آخر مرحلة من مقاومة الفساد بإزالتها وقطع دابرها ولو أدى ذلك لكثير من التضحيات والآلام.

فالجهاد في سبيل الله شرع لقطع دابر الشر المسيطر والفساد المستحكم إذا لم تجد معه الوسائل السلمية، ولا يكون إلا مع الأعداء الكفرة المحاربين لدين الله الساعين بالفساد في الأرض، ولا نعلم آيات القرآن جاءت إلا في مقاتلة الكافرين، أما المؤمنون فلم أقف قط على موضع في القرآن يحرض على قتالهم سوى في قتال الفئة الباغية لما تمثله من شر حادق وخطر ماحق على وجود الأمة وتماسكها، وفي الحديث جاء الأمر بقتال الخوارج والبغاة.وقد قاتل الصحابة الحرورية وهم فرقة من الخوارج.[٤٩]

فالحاصل أنَّ القتال شرع في آخر الأمر لإزالة الفساد؛ نظرًا لحرمة الدماء وتقدير الإسلام لذلك.

هذا ما تيسر مما قد رمناه من مقصد البحث ومبتغاه، تفضل به المولى علينا إذ أعاننا على تمامه على قصور فيه مرجعه إلينا، نسأله سبحانه أن يتجاوز عنا بمنه وفضله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والتي أسأل الله أن يكون هذا البحث منها، وقد خلصت منه عدة نتائج نرجوا أن تكون قد أجابت عن تساؤلات الدراسة فنقول وبالله التوفيق:

من أهم النتائج:

١- الإصلاح مهمة من أشرف المهمات لا يتصدى لها إلا عظماء النفوس أصحاب الهمم العالية.

٢- لابد للمصلح من نور يهتدي به ومثال يقتدى به.

٣- كل دعوة للإصلاح الشامل لا تقوم على هدى من الله مصيرها الفشل.

٤- الاستراتيجية النافعة في الإصلاح هي من خلال اتباع منهج الأنبياء في الإصلاح والسير على طريقهم.

٥- طريقة الرسل في الإصلاح واحدة ومنهجهم واضح وبحسب اقتراب المصلح من هذا المنهج يكون التوفيق.

٦- بينت الدراسة ملامح هذا المنهج، وذكرت أساسياته، وللمتقصي مجال للإضافة والزيادة، فالبحر غزير والصيد وفير.

الهوامش والتعليقات:

(١) مفردات الراغب ١ / ٢٨٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٠٣.

(٣) لسان العرب ٢ / ٥١٦ مادة (صلح)

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ١٥٢.

(٥) الطبري ٢٦ / ٣٩.

(٦) الكشاف ٤ / ٣١٩.

(٧) المحرر الوجيز ٥ / ١٠٩.

(٨) التحرير والتنوير ٢٦ / ٧٦.

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل ٣ / ٢٠٢.

(١٠) فتح القدير ٢ / ٤٦٦.

(١١) تفسير ابن سعدي ١ / ٦٧٣.

(١٢) انظر: تفسير البغوي ٣ / ٢٦٧، فتح القدير ٣ / ٤٢٥، زاد المسير ٥ / ٣٨٥، روح المعاني ١٧ / ٨٧.

(١٣) زاد المسير ٣ / ٢١٥.

(١٤) تفسير القرطبي ٧ / ٢٢٦.

(١٥) التحرير والتنوير ٨ / ١٧٥.

(١٦) التحرير والتنوير ٢ / ٣٥٦.

(١٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٠٥ – ٢٠٦ مختصرًا.

(١٨) اختلف أهل العلم في لقمان هل هو نبي مرسل أم حكيم صالح: فالجمهور على أنه حكيم صالح، ذكر ذلك جمع من المفسرين،انظر: تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٤، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٢٣٧.

(١٩) الطبري ٧ / ١٠٢.

(٢٠) السياسة الشرعية ص ٩٤.

(٢١) صحيح مسلم ١ / ٤٧ رقم ٤٩.

(٢٢) تفسير اليضاوي ١ / ٣١٦ – ٣١٧.

(٢٣) تفسير ابن كثير ١ / ٨٨.

(٢٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٨٨ رقم ٢٣٣٤٧، وأبوداود في السنن ٢ / ٣٥ رقم ١٣١٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم ١٣١٩.

(٢٥) صحيح مسلم ١ / ٤٠ حديث رقم ١٠.

(٢٦) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٩٣.

(٢٧) صحيح البخاري ٥ / ٢٣٨٤ حديث رقم ٦١٣٧.

(٢٨) الجواب الكافي ص ٨٩.

(٢٩) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٩١ حديث رقم ٢٤٦٤٥.فال المحقق الأرناؤوط: صحيح.

(٣٠) أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٤٥ حديث رقم ٥٦٨٨.

(٣١) أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ٣٧٠ حديث رقم ٢٠١٨.قال الألباني: صحيح.

(٣٢) أخرجه أبو داود في السنن ٤ / ٢٥٣ رقم ٤٨٠٠. قال الألباني: حسن.

(٣٣) انظر: تفسير عبدارزاق ٣ / ٤٠٣.

(٣٤) مفردات غريب القرآن ١ / ٤٩.

(٣٥) فتح القدير ٣ / ٥٩.

(٣٦) ابن كثير ٢ / ٤٩٦.

(٣٧) صحيح البخاري ٥ / ١٩٤٩ حديث رقم ٤٧٧٦.

(٣٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣ / ٣٨١.

(٣٩) صحيح البخاري ٢ / ٥٢٩ حديث رقم ١٣٨٩.

(٤٠) صحيح البخاري ٢ / ٨٦٩ حديث رقم ٢٣٣٢.

(٤١) صحيح البخاري ٦ / ٢٥٣٩ حديث رقم ٦٥٢٨.

(٤٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٤ حديث رقم ٢٥٩٤.

(٤٣) صحيح مسلم ٤ / ١٨١٤ حديث رقم ٢٣٢٨.

(٤٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٢٣٦ حديث رقم ٢١٠٧. وقال المحقق: صحيح لغيره.

(٤٥) فتاوى شيخ الإسلام ٢٠ / ١١٤.

(٤٦) صحيح البخاري ٣ / ١٣٠٦ حديث رقم ٣٣٦٧.

(٤٧) السابق ١ / ٣٨ حديث رقم ٦٩.

(٤٨) شرح النووي على صحيح مسلم ٤ / ١٥٨.

(٤٩) صحيح البخاري ١ / ٤٠٥ حديث رقم ١١٥٣.

فهرس المراجع والمصادر

المصدر الأول: القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع والمصادر العامة.

١- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.

٢- **تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٣- **تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن** لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب ٠

٤- **تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت.

٥- تفسير ابن سعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ، تحقيق ابن عثيمين ٠

٦- **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** اسم المؤلف، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري – تحقيق أحمد شاكر - مؤسسة الرسالة – ط١ – ١٤٢٠ هـ ٠

٨- **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة ٠

٩- **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٠- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ـ تعليق طه عبد الرؤف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ـ ١٣٩٣ هـ ٠

١٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠

١٣- **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة الثالثة ٠

١٤- **سنن الترمذي = الجامع الصحيح**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٥- **سنن أبي داود** = السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

١٦- **سنن ابن ماجة** لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الإسلامي – ١٣٩٥ هـ.

١٧- **سنن النسائي** = كتاب السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د / عبد الغفار البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٨- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية

١٩- **شرح مسلم** للنووي للإمام محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ـ دار الفكر.

٢٠- **صحيح سنن الترمذي** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

٢١- **صحيح سنن أبي داود** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٢٢- **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ، تحقيق مصطفى ديب البغا.

٢٣- **صحيح مسلم** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ٠

٢٤- **فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** = مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية** من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٢٦- **في ظلال القرآن** لسيد قطب، دار الشروق.

٢٧- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق عبد الرزاق المهدي.

٢٨- **اللباب في علوم الكتاب**، لعمر بن علي بن عادل الدمشقي، دار الكتب العلمية، تحقيق عادل عبدالموجود.

٢٩- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٣٠- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ، الطبعة الاولى، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣١- **المحكم والمحيط الأعظم** لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الحميد هنداوي.

٣٢- **مسند الإمام أحمد** بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

٣٣- **معجم مقاييس** اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، ط الثانية ١٤٢٠ هـ، تحقيق عبد السلام هارون.

٣٤- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.

٣٥- **المفردات في غريب القرآن** لأبي القاسم الحسين بن محمد المشهور بالراغب الأصبهاني، دار المعرفة، لبنان، تحقيق محمد سيد كيلاني.